برنامج [الأمان الأمان.. يا صاحب الزمان] - الحلقة (5)
ولادة القائم من آل محمد صلوات الله عليهم – الجزء (2)
الثلاثاء : 6 شهر رمضان 1439 – الموافق: 2018/5/22

✤ هذه هي الحلقةُ الخامسةُ مِن برنامجنا [الأمان الأمان.. يا صاحب الزمان].. والعنوان هو نفسهُ الذي تقدّم في الحلقة الماضية: حديثُ الولادة (ولادة القائمِ مِن آل مُحمّد "صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين").
وقُلتُ في الحلقة المُتقدّمة مِن أنّني سأستعمِلُ أسلوبَ الشاشاتِ المُتعدّدة.. فإنّني سأفتحُ أمامَكُم شاشاتٍ عديدةً، كُلُّ شاشةٍ تُغطّي ما يُمكن أن تُغطّيه وما يُمكن أن تعرضهُ بحسب وقت البرنامج وبحسب المُتاح المُمكن للحديث عنه.

● أوّل شاشةٍ فتحتُها بين أيديكم سمّيتُها: شاشة القرآن.. وقُلت أنّني سأعرِضُ عِدّةَ صُورٍ في هذه الشاشة.. ورجائي مِن الذين يُتابعونني أن يحصِروا أذهانهم أمام هذه الشاشة كي يُلاحظوا بِدقّةٍ الصُور التي تُعرَض عليها.. وقطعاً الحديثُ هُنا ليس عن شاشةٍ مَحسوسةٍ، وإنّما الحديثُ عن شاشةٍ ذهنيّةٍ عقليّة.

● عرضتُ الصُورة الأولى، ولا أُريد أن أعيد الكلام المُتقدّم فيما يرتبط بالصُورة الأول.. ولكنّ الحديثَ كان في هذه الأجواء:
• القانونُ الواضحُ في ثَقافتنا (ثقافةِ أشياع عليّ "صلواتُ الله عليه") الذي جاءَ مَذكوراً في الآيةِ 7 مِن سُورة الرعد والخطابُ فيها لرسول الله: {**إنّما أنتَ مُنذر ولكلّ قومٍ هاد**}
• وما جاء في الآية 71 مِن سورة الإسراء: {**يومَ ندعو كُلَّ أُناسٍ بإمامهم**}
أعتقد أنّ هذهِ المعاني واضحة وصريحة مِن أنّه لابُدَّ مِن إمامٍ ترتبطُ كُلُّ شُؤوننا الدينيّة والدنيويّة والأُخرويّة {**يومَ ندعو كُلَّ أُناسٍ بإمامهم**} ذلك في يوم القيامة. فاليوم الذي يُدعى كُلّ أناسٍ بإمامهم: إنّه يوم القيامة.
فشُؤوننا ترتبطُ بإمامنا في الدُنيا وما بعد الدُنيا.. إلى يوم القيامة.. بل إلى ما بعد يوم القيامة: في الجِنان والنيران.

❖ **الصورة (2) مِن صُور الشاشة الأولى وهي "شاشةُ القرآن"**:
تَصفّحتُ مَعكم في الحلقة الماضية جانباً مِن آياتِ الكتاب الكريم التي تتحدّثُ عن مَجموعةٍ بصيغةِ الجمع المُذكّر السالم على طُول القرآن.
• بدأتُ مِن هذهِ الصفة (**العالون**).
في سُورة ص في الآية 75 بعد أن سَجَد الملائكةُ كُلّهم أجمعون، ورفضَ إبليسُ مُستكبراً أن يسجدَ.. فقال لهُ سُبحانهُ وتعالى: {**قال يا إبليسُ ما منعكَ أن تسجدَ لِما خلقتُ بيديَّ أستكبرتَ أم كنتَ مِن العالين**}
العالون هُم الذين لا يسجدون لآدم وهُم مُحمّدٌ وآل مُحمّد.. وإنّما سَجَد جميعُ الملائكةِ لآدم لأنَّ نَفحةً مِن العالين تَجلّتْ في آدم.
الكلام واضح: هُناك الله، وهناك إبليس، وهناك الملائكةُ كُلّهم أجمعون، وهناك "العالون".. وقد تقدّم الحديث عن هذا الموضوع في الحلقة الماضية.
• هؤلاء العالون هُم نفسهم الخالدون الذين جاء ذِكرهُم في سُورة الأعراف في الآية 20 في حديثِ إبليس مع أبينا آدم وأُمّنا حوّاء.. قال إبليس لأبينا وأُمّنا: {**ما نَهاكما ربُّكما عن هذهِ الشجرة إلّا أن تكونا مَلكينِ أو تكونا مِن الخالدين**} أيضاً القضيّةُ هي هي.. اللهُ سُبحانهُ وتعالى نهى أبانا وأُمّنا..
فهناكَ الله، وهُناك آدم وحوّاء، وهُناك إبليس الذي يُخاطِبهم، وهُناك الملائكة.. وهناك مجموعةٌ "الخالدين".. العالون هم الخالدون
• وهؤلاء العالون والخالدون هم الذين جاء ذِكرهم في سورة العنكبوت في الآية 43: {**وتلكَ الأمثالُ نضربُها للناس وما يعقِلها إلّا العالمون**}
العالمون هُم العالون هُناك، وهُم الخالدون هناك.. ظهروا في هذه الدُنيا على هذا التراب بهذه الصُورة (صورة العالمين).
• وهؤلاء العالمون هُم الذين ذُكروا أيضاً في سُورة الروم في الآية 22: {**ومِن آياتهِ خَلْقُ السماواتِ والأرض واختلافِ ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلكَ لآياتٍ للعالمين**} وهؤلاء العالمون هم الذين جاء ذِكرهم في سُورة آل عمران في الآية 7: {**وما يعلمُ تأويلَهُ إلّا اللهُ والراسخونَ في العلم**}
• وهؤلاء هُم الذين جاء ذِكرهم في سُورة الواقعة في الآية 79 وما قبلها: {**إنّهُ لَقُرآن كريم* في كتابٍ مكنون* لا يمسّهُ إلّا المُطهّرون**} هؤلاء هم أصحابُ آية التطهير أيضاً في سُورة الأحزاب: {**إنّما يُريدُ اللهُ ليُذهبَ عنكم الرجس أهل البيت ويُطهّركم تطهيرا**}
• وهؤلاء هُم الذينَ جاءَ ذِكرهم في سُورة الزُخرف في الآية 81 : {**قُلْ إنْ كان للرحمن ولدٌ فأنا أوّلُ العابدين**} يعني إذا كان لله مِن ولد فهو أولُ موجود.. يعني أنا سأكون.. ولكنّني أنا أوّلُ العابدين ولستُ بولدٍ لله سُبحانهُ وتعالى.. يعني: لو كان للهِ ولد لكُنت أنا، ولكنّني أوّلُ الموجودات هذا هو معنى أوّل العابدين. وقد تكونُ للآية وجوهٌ أخرى، ولكنّني لستُ بصدد تفسير الآية هنا.
• هؤلاء "العابدون" هم الذين ذُكروا في سُورة الأنبياء في الآية 19 وما بعدها: {**ولهُ مَن في السماواتِ والأرض ومَن عنده لا يستكبرون عن عبادتهِ ولا يستحسرون* يُسبّحون اللّيل والنهار لا يَفترون**} هؤلاء هم الذين عند الله "ومَن عنده".
فهُم "صلواتُ الله عليهم" العابدون بالمَعنى الحقيقي.. هذه المجموعة العابدة التي سبّحتْ ثُمّ بتسبيحها سبّحتْ الكائنات.
• وهم اللّاعنون في الآية 159 من سورة البقرة: {**إنَّ الذينَ يكتمون ما أنزلنا مِن البيّنات والهُدى مِن بعد ما بيّناهُ للناس في الكتابِ أولئكَ يلعنُهُم اللهُ ويلعنُهم اللّاعنون**} يكتمون ما أنزلنا من البيّنات في عليّ "صلواتُ الله عليه"، في القائم مِن آل مُحمّد "صلواتُ الله عليهم أجمعين".
اللّاعنون هُم "صلواتُ الله عليهم".. أمّا لَعنةُ الناس فلا قيمةَ لها.. فحتّى لو أنّ لعنتي ولعنةُ أمثالي كانتْ دُعاءً واستُجيبَ هذا الدعاء فبِفضلهم وبإذنهم قد استُجِيبتْ.. أمّا لعنَتُهم "صلواتُ الله عليهم" فتترتّب عليها آثار تكوينيّة وتشريعيّة.

• في سُورة الأعراف في قِصّة مُوسى وهارون وعبادة بني إسرائيل العجل.. الآية 151: {**قال ربّ اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحمُ الراحمين**}
هناك راحمون.. وهذا نبيٌّ مِن أنبياء أُولي العزم وهو مُوسى يُشير إليهم حين يُخاطب الباري مِن حيث يُريد فيقول: {**وأنت أرحمُ الراحمين**}
الباري أرحمُ الراحمين.. ولا يُمكن أن يُقايسَ الباري سُبحانهُ وتعالى نفسهُ براحمين لا وجود لهم.. لابُدّ مِن وجود راحمين ولابُدّ أن تكون رحمتهم مِن العَظَمةِ ومِن السعة ما تكونُ المُقارنةُ مَقبولةً إلى حدٍّ ما.
علماً أنّه لا يُقارنُ شيءٌ بالله سُبحانه وتعالى، ولكنّه عزّ وجلّ إذا أراد أن يُقارنَ برحمتهِ فَلابُدّ أن تكونَ رحمةً مِن عَطائهِ هي أوسعُ مِن كُلّ رحمة حتّى يُقارن رحمتهُ سُبحانهُ وتعالى برحمةٍ مخلوقٍ مِن مخلوقاته.
لابد أن تكونَ الرحمة المُتجليّة في هذا المخلوق هي رحمةُ الله سُبحانهُ وتعالى.. تلكَ الرحمة التي وسعتْ كُلّ شيء.. وإلّا لا مَعنى للمُقايسة مع رحمتنا نحنُ البشر الناقصون الجاهلون المَحدودون الذين لا نُساوي شيئاً.. ثُمّ يصِف نفسه بأنّه أرحم الراحمين..!
الراحمون كائناتٌ، موجوداتٌ، حقائقُ قادسة، مجموعةٌ هي التي تحدّث عنها القرآن على طُول الخطّ (هم العالون، هم الخالدون، هم الراسخون، هم المُطهّرون، هم اللّاعنون، هم العابدون، هم الراحمون..)
• حين نقرأ في دعاء البهاء (**اللّهُمّ إنّي أسألُكَ مِن جمالكَ بأجمله**) أجملُ الجمال يتجلّى فيهم "صلواتُ الله عليهم".. فهم الراحمون، وحين نقرأ في الدعاء (**اللّهُمّ إنّي أسألُكَ مِن جلالِك بأجلّه**) أجلُّ الجلال أيضاً يتجلّى فيهم "صلواتُ الله عليهم" فهم اللّاعنون.. فاللّاعنون مِن صفاتِ الجلال، مِن صفات القهر والغَلَبة.. والراحمون مِن صفات الجمال.
حين يقول الدعاء (**اللّهُمّ إنّي أسألُكَ مِن جمالكَ بأجمله**) نحنُ لا نستطيعُ أن نتحدّثَ عن جمال الذات الإلهية بالرُتَب فنقول: هناك أجملُ الجمال في اللّه وهناك مراتب.. لا يُمكن، وإنّما ذلك في المخلوقات.. فأجملُ جمال الله في خلقه، في الكائن الأوّل (**فأنا أوّل العابدين**).
• في سُورة المُؤمنون في الآية 109: {**إنّه كانَ فريقٌ من عبادي يقولون ربّنا آمنّا فاغفر لنا وارحمنا وأنتَ خيرُ الراحمين**}
هُناك راحمون - كما قلت - ولذا تأتي هذه الأوصاف القرآنيّة صريحةً.. فالباري سُبحانهُ وتعالى أرحمُ الرحمين وهو خيرُ الراحمين.
• وفي الآية 118 في نفس السورة: {**وقل ربّ اغفر وارحم وأنتَ خيرُ الراحمين**} هذا الوصف وهذا العنوان يتكرّر في العديد مِن آيات الكتاب الكريم
• في سورة يوسف في الآية 64 في كلام يعقوب مع وُلْدِهِ فيما يرتبط بقِصّة بنيامين: {**قال هل آمنُكم عليهِ إلّا كما أمنتُكم على أخيهِ مِن قبل فاللهُ خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين**}

الراحمون هم هم.. تلاحظون الصيغة هي هي.. صيغةُ الفاعل (جمع المُذكّر السالم) وهذه القضيّةُ موجودةٌ على طُول الكتاب الكريم.

• في الآية 155 من سورة الأعراف: {**واختارَ موسى قومهِ سبعينَ رجلاً لِميقاتنا..**} إلى أن تقول الآية والدعاء فيها لِموسى النبيّ يقول: {**أنتَ وليّنا فاغفرْ لنا وارْحَمنا وأنتَ خير الغافرين**}

فلابُدّ من وجود غافرين.. إذ لا معنى للمُقايسةِ مع كائناتٍ لا وُجود لها، ولا معنى للمُقايسةِ مع كائناتٍ من أمثالنا.. فلابُدّ من وجود كائناتٍ غافرة، تتجلّى فيهم مغفرةُ الله.. هو الذي مَنّ عليهم، فهو الذي خَلَقهم، ثُمّ تجلّتْ أسماؤه وصِفاتهُ في أجمل وأجلّ وأكمل نشآتها فيهم.. (**الإسمُ الأعظمُ الأعظمُ الأجلّ الأكرم الذي خَلَقهُ فاستقرّ في ظِلّه فلا يخرجُ مِنهُ إلى غيره..**) هناكَ تَجلّتْ كُلّ الأسماء وكُلّ الصفاتِ، وهُناك تجلّى اللهُ فيهم سُبحانهُ وتعالى.. وذلكَ هو التجلّي الأعظم الذي صدرتْ مِنهُ بعد ذلكَ كُلّ التجلّيات..!
• هذا الذي نَقرؤهُ في دعاءِ ليلة المبعث في أوّل فِقْرةٍ من الدُعاء: (**اللّهم إنّي أسألكَ بالتجلّي الأعظم..**) التجلّي الأعظم الأعظم الأعظم هو ذاك الذي أشرتُ إليه.. ولكن لهذا التجلّي الأعظم تجلّيات، وله أيضاً تجلٍّ أعظم.. وحينما يصِل الحديث إلى التجلّي الأعظم، هُنا سننتقِلُ بالحديث إلى الولاية الكونيّة وليست التكوينيّة.. الولايةُ التكوينيّةُ هي مجلىً مِن مجالي الولاية الكونيّة.
فهُناكَ الراحمون وهُناك الغَافرون، وهُناك اللّاعنون، وهُناك العابدون، وهُناك المُطهّرون، وهُناك الراسخون، وهُناك العالمون، وهُناك الخالدون، وهُناك العالون.. وما عليٌّ إلّا صُورةٌ جامعةٌ لِكُلّ ذاك العُلو..

● وهم "صلواتُ الله عليهم" الماكرون أيضاً.. فالمكرُ هو مظهرٌ مِن مظاهر إدارة هذا الوجود.. والمكر قانون من قوانين تنظيم مسيرة الإنسان.. فقوانين التوفيق والخذلان -مثلاً - هي من مصاديق قوانين المكر الإلهي.
كما نقرأُ في بداية دُعاء أبي حمزة الثمالي: (**إلهي لا تُؤدّبني بِعقوبتكَ، ولا تمكر بي في حِيلتك**)
• في الآية 54 مِن سُورة آل عمران: {**ومَكَروا ومَكَر الله واللهُ خيرُ الماكرين**} فلابُدّ مِن ماكرين مكرهُم خيرٌ.. حتّى يُقايسَ الباري مَكْرهُ بِمكرهم، وإلّا لا معنى لِمُقايسة مَكْر الباري بِماكرين خَيّرين لا وُجود لهم، أو بِماكرين خيّرين مِن أمثالنا، حينما نُريدُ أن نَمكُرَ بنيّة الخير - على سبيل المثال -
أو أن يُقايس مَكْره تعالى بِمكْر الشيطان وأعوانه.. لا معنى لِهذه المُقايسات أبداً.. فكلّ ذلك فيه إخلال بالحكمة وإخلال بالبلاغة وإخلال بالمنطق السليم.. فلابُدّ مِن ماكرين مكرهم خيرٌ.
• في سورة الأنفال آية 30 : {**وإذ يمكرُ بكَ الذين كَفروا ليُثبتوكَ أو يقتلوكَ أو يُخرجوك ويَمكرون ويمكرُ اللهُ واللهُ خيرُ الماكرين**}

الباري سُبحانه وتعالى هُنا لا يُقارنُ مَكْرهُ بمَكر الكافرين. حين يقول سُبحانهُ وتعالى: {**واللهُ خيرُ الماكرين**} خيرُ الماكرين يعني أخيرُ الماكرين.. فكلمةُ (خير) هي صِيغةُ تفضيل، أصلها أخير، ولكن حُذفتْ الهمزة للتخفيف بسبب كثرة الاستعمال.

يعني هناك ماكرون أخيار، وهو سُبحانهُ وتعالى الأخيرُ منهم.. وهذا المعنى لا يتجلّى إلّا فيهم "صلواتُ الله عليهم".. فالمُقارنةُ هنا بينهُ سُبحانهُ وتعالى وبين أعلى مراتب خَلْقه. خلقه الأعلى الذي أرجعَ إليه كُلَّ الخلق (**إيابُ الخَلْقِ إليكم وحِسابهم عليكم**).

• وهم الحاكمون كما في الآية 87 من سورة الأعراف.. وما المكر إلّا قانون من قوانين حُكمهم: {**وإنْ كانَ طائفةٌ منكم آمنوا بالذي أُرسلتُ بهِ وطائفةٌ لم يُؤمنوا فاصبروا حتّى يحكمَ اللهُ بيننا وهو خيرُ الحاكمين**} الآية في سياق قصّة النبي شُعيب.. ولا أريد الحديث عن الآيات هنا.

فهو سُبحانهُ وتعالى خيرُ الحاكمين.. فلابُدّ مِن حاكمينَ مَوجودين على أرضِ الواقع.. وهُم الذين يذكرهُم دُعاء الاستئذان في زيارةِ السرداب الشريف وفي زيارة أئمتنا "صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين".. حين يقول الدعاء:

(**الحمدُ لله الذي مَنَّ علينا بحُكّام يقومونَ مَقامهُ لو كان حاضراً في المكان**}. فالباري سُبحانهُ وتعالى يُقايسُ حاكميّته بِحاكميّتهم لا بسائر الحُكّام.. ما قيمةُ سائر الحُكّام أصلاً؟! فكما تُلاحظون هذهِ التعابير وهذهِ الصِيَغ مَوجودةٌ على طُول الكتاب الكريم.

• أيضاً يتردّد هذا الوصف "الحاكمين" في آية أُخرى وهي الآية 109 في سورة يونس والخطابُ فيها لِرسول الله: {**واتّبعْ ما يُوحى إليك واصبرْ حتّى يحكمَ الله وهو خيرُ الحاكمين**}

علماً أنّ هذا الخِطاب الذي هو لِرسول الله، هو في حقيقتهِ خِطابٌ للأُمةّ.. فإنّ القرآن نزل بإيّاكِ أعني واسمعي يا جارة.

فهناك حاكمون حقيقيّون، وهؤلاء هم الذين أشار لهم دُعاءُ الاستئذان الشريف الذي اقتطفتُ لكم منه عبارةً قبل قليل.

• وفي سُورة يُوسف في قِصّة يُوسف وبنيامين والتفاصيل التي تعرفونها في الآية 80.. {**فلمّا استيأسوا منه خَلَصوا نَجيًا..**} إلى أن تقول الآية: {**فلنْ أبرحَ الأرض حتّى يأذن لي أبي أو يحكمَ اللهُ لي وهُو خير الحاكمين**}. ابن نبيٍّ وهذهِ المعاني يتعلّمها مِن بيت النبوّة أنّ اللهَ خيرُ الحاكمين.. فهُناك حاكمون حقيقيّون، وهم أُولئكَ الذين تحدّثتْ عنهم الأدعيةُ والزياراتُ بكلّ التفاصيل.

• وهُم المُنزلونَ الذين يُنزلونَ الفيض، ويُنزلون الكائنات مَراتبها، والذين يُنزلونَ الناس منازلهم.. هم المُنزلون "صلواتُ الله وسلامهُ عليهم".

• في سورة المُؤمنون الآية 29 : {**وقُل ربِّ أنزلني مُنزَلاً مُباركاً وأنتَ خيرُ المُنزلين**} فهُم "صلواتُ اللهُ عليهم" الذين يُنزلون الأنبياء منازلهم المُباركة.

• وهُم الفاتحون كما في سُورة الأعراف في الآية 89: {**وسِعَ ربُّنا كُلّ شيء عِلماً على الله توكّلنا ربّنا افتح بيننا وبين قومِنا بالحقّ وأنتَ خيرُ الفاتحين**} الآيات في قِصّة شُعيب في سُورة الأعراف.. فهناك فاتحون.. والله سُبحانه وتعالى يُقارن فتحه بفتحهم.

• وهم الناصرون في الآية 150 في سورة آل عمران: {**بل اللهُ مولاكم وهو خيرُ الناصرين**} هناك ناصرون وهم المذكورون في دُعاء الفرج حينما نُخاطبُ رسول الله وأمير المؤمنين: (**يا مُحمّد يا عليّ يا عليّ يا محمّد اكفيانا فإنّكما كافيان، وانصُرانا فإنّكما ناصران..**)

فكما تَرون أنّ هذهِ المعاني المَوجودة في دعاءِ الفرج وغيرهِ مِن الأدعية مَوجودةٌ في القرآن.. فَهؤلاءِ الذين يُشكّكون في هذهِ الأدعية لا فِقهَ لهم ولا خِبرةَ لهم بأسرار معارف الكتاب والعترة.

فهناك ناصرون.. الله سُبحانهُ وتعالى يصِفُهم بهذا الوصف.. ويصِفُ نفسهُ بأنّه خيرُ الناصرين؛ لأنه هو الذي أسبغَ عليهم ما أسبغ من فضلهِ ومِن نعمتهِ التي لا حدود لها التي لا يعرفها إلّا الله وهم "صلواتُ الله عليهم".

● وهُم الفاصلون كما في الآية 57 من سورة الأنعام: {**قُلْ إنّي على بيّنةٍ مِن ربّي وكذّبتم بهِ ما عندي ما تستعجلونَ بهِ إنْ الحكمُ إلّا للهِ يقصُّ الحقَّ وهو خيرُ الفاصلين**} كُلّ شيءٍ بأيديهم.. كما نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة: (**إيابُ الخَلْقِ إليكم وحِسابهم عليكم**).

هُم "صلواتُ الله عليهم" الفاصلون في الحساب.. وليس الحديثُ هُنا عن حساب يوم القيامة، وإنّما الحسابُ مُنذ بداية الوجود وإلى ما شاء الله.

هؤلاء هُم العالون، هم الخالدون، العالمون، الراسخون، المُطهَّرون، العابدون، اللّاعنون، الراحمون، الغافرون، الماكرون، الحاكمون، المُنزلون، الفاتحون، الناصرون، الفاصلون..

● في سورة المُؤمنون في الآية 14 في قِصّة خلق الإنسان: {**ولقد خَلَقْنا الإنسانَ مِن سُلالةٍ مِن طين* ثُمَّ جعلناهُ نُطفةً في قرارٍ مَكين* ثُمَّ خَلَقْنا النُطفةَ عَلَقةً فخلقْنَا العَلَقَةَ مُضْغةً فَخَلقْنا المُضْغةَ عِظاماً فكسونا العِظام لحماً ثُمَّ أنشأناهُ خَلْقاً آخر فتبارَكَ اللهُ أحسنُ الخالقين**}

هُناك خالقون وإلّا لا مَعنى لِمُقايسة اللهِ سُبحانه وتعالى بكائناتٍ لا وجود لها.. فهل أنّ الله سُبحانهُ وتَعالى حِين قال: {**فتبارَكَ اللهُ أحسنُ الخالقين**} هل قارنَ نفسهُ بكائناتٍ لا وجود لها؟! يعني قارن نفسهُ بعدم؟!

أم قارنَ نفسهُ بنجّارٍ يَصنعُ كُرسيّاً أو ببنّاءٍ يبني بيتاً ويُقال لهذا الفِعل - ربّما - على ألسنةِ الناس بأنّ هذا نجّارٌ خلّاق، إذا كان مُبدعاً في مهنتهِ وصنعتهِ؟!

أساساً الباري تعالى لا يُقارنُ نفسهُ حتّى بما صدَرَ عن عيسى النبيّ.. فإنّ ما جاء بهِ عيسى لا قِيمة لهُ حتّى يُقايسَ الله سُبحانهُ وتعالى خالقيّتهُ بِخالقيّة عيسى.. وإنّما جاءَ ذكْرُ عيسى مِثالاً كي يُقرّب لنا هذا المعنى.

• في سورة آل عمران في الآية 49 عيسى النبيّ يقول لبني إسرائيل: {**ورسولاً إلى بني إسرائيل أنّي قد جِئتكم بآيةٍ مِن ربّكم أنّي أخْلُقُ لكم مِن الطين كهيئةِ الطيرِ فأنفخُ فيه فيكون طيراً بإذن اللهِ..**}

فعيسى النبيُّ يقول: {**أنّي أخْلُقُ**} فهو خالق.. فنحنُ نصِفُهُ بصيغة فاعل (خالق).. يعني هو الذي يخلق.

• في سورة المائدة في الآية 110 الله سُبحانُ وتعالى يُخاطِبُ عِيسى فيقول: {**إذْ قالَ اللهُ يا عيسى ابنَ مريم اذكرْ نعمتي عليكَ وعلى والدتك..**}

إلى أن تقول الآية وهي تنقلُ لنا خطابَ الله لِعيسى: {**وإذْ تَخلقُ مِن الطين كهيئةِ الطير بإذني فتنفُخُ فيها فتكونُ طَيراً بإذني..**} وهُنا الباري سُبحانهُ وتعالى يصِفُ عيسى بأنّه خالق.

ولكنّ الباري سُبحانه وتعالى لا يُقايس خالقيَّتهُ بخالقيّة عيسى، وإنّما جيئ بخالقيّة عيسى مثالاً هنا.

الحديثُ هُنا عن خالقيّة الإسم الأعظم، وخَالقيّةُ الإسمِ الأعظم لا يُمكنُ أن تُقايَسَ لا بخالقيّة عيسى ولا بغَيره.. وإنّما مُقايستُها مع خالقيّة الله سُبحانهُ وتعالى، بل إنّ خالقيّةَ الإسمِ الأعظم هي خالقيّةُ اللهِ سُبحانهُ وتعالى.. اللهُ سُبحانهُ وتعالى خَلَق الإسْمَ الأعظمَ فجَعَلهُ خالقاً، ولِذلك الإسم الأعظم مِنهُ تجلّتْ كُلّ المخلوقات.. الكائنات خرجتْ مِن ظلال الإسم الأعظم.

(**وباسمكَ الأعظم الأعظم الأجلّ الأكرم الذي خلقْتَهُ فاستقرَّ في ظِلّكَ، فلا يخرجُ مِنكَ إلى غيرك**)

فعيسى بخالقيّته المَحدودة هو يَتحدّثُ عن نفسهِ بأنّهُ خالق.. والباري سُبحانهُ تعالى يُقرّر هذا المعنى له: أنّه خالق.

فعيسى خالقٌ ولكن بحُدود عيسى.

• في سورة المؤمنون في الآية : {**فتبارَكَ اللهُ أحسنُ الخالقين**} هؤلاءِ الخالقونَ الذين هُم في أعلى الدرجات وأعلى المراتب.

الإسم الأعظم بكلّ جمالهِ وجلالهِ تجلّى في مُحمّدٍ وآل مُحمّدٍ في العالم الأرضي.

• في سورة الصافّات في قصّة إلياس في الآيات مِن 123 - إلى 125 : {**وإنّ إلياسَ لَمِنَ المُرسلين* إذْ قال لقومهِ ألا تتّقون* أتدعونَ بعلاً وتذرونَ أحسنَ الخالقين**}. فهُناكَ خالقون والخالقون هُم "صلواتُ الله عليهم"... وهم الرازقون أيضاً.. فإنّ بعد الخَلْق يأتي الرزق.

نحنُ وردَ عندنا في الروايات الشريفة عنهم "صلواتُ الله عليهم" هذا المضمون: أنَّ الوالد إذا وعدَ أطفالهُ بشيءٍ فيُستحبُّ لهُ أن يفيَ لهم بوعده، لأنَّ الأطفالِ ينظرونَ إلى آبائهم مِن أنّهم يرزقونهم.. فهم يعتقدون أنّ مصدر الرزق هو أبوهم.

• في سُورة المائدة.. في الآية 114 في قِصّةِ مائدةِ الحواريّين:

{**قالَ عيسى ابنُ مريم اللّهُمَّ ربّنا أنزل علينا مائدةً مِن السماء تكونُ لنا عِيداً لأوّلنا وآخرنا وآيةً منكَ وارزقْنا وأنتَ خيرُ الرازقين**} هذا هو دعاء عيسى النبيّ. هناك رازقون.. فإنّ اللهَ سُبحانهُ وتعالى لا يُقايسُ رازقيَّتهُ برازقيّة الآباء من البشر إلى أطفالهم وعوائلهم.. ولا يُقايسُ رازقيّتهُ برازقيّة الدول والملوك لأتباعهم ولِرعاياهم.. ولكن هُناك رازقون حقيقيّون.. هو مَنَحَهُم القُدرةَ على هذهِ الرازقيّة.

هُناك نظام واضح في الأوصاف وفي التعابير (صِيغةُ فاعل، جمعُ المُذكّر السالم..) نفس هذهِ المجموعات، ونفس هذهِ الكائنات.. هي هي.. ابتدأنا بالعالين، ووصلنا إلى الرازقين. والرزقُ لا حدودَ له، وليس لهُ من نوع.. الرزقُ هو الفيض بكلّ مراتبه.

• في سورة الحجّ في الآية 58 : {**والذينَ هاجروا في سبيلِ الله ثُمَّ قُتِلوا أو ماتوا لَيَرزُقَنَّهم اللهُ رِزقاً حَسَناً وإنَّ الله لَهُو خَيرُ الرازقين**}

• في الآية 72 مِن سورة المؤمنون: {**أم تسألُهُم خَرْجاً فخَراجُ ربّكَ خيرٌ وهو خيرُ الرازقين**}

• في سورة سبأ في الآية 39 : {**قُلْ إنَّ ربّي يَبسطُ الرزقَ لِمَن يشاءُ مِن عبادهِ ويقدر لهُ وما أنفقتم مِن شيءٍ فهو يُخْلِفهُ وهو خيرُ الرازقين**}

• في آخر آية من سُورة الجمعة وهي الآية 11: {**وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضُّوا إليها وتركوكَ قائماً قُلْ ما عندَ اللهِ خيرٌ مِن اللّهو ومِن التجارةِ واللهُ خيرُ الرازقين**}

• في سورة التوبة في الآية 59 هناك إشارة إلى الرازقيّة وإلى الإغناء:

{**ولو أنَّهم رضوا ما آتاهم اللهُ ورسولُهُ وقالوا حسبُنا اللهُ سيُؤتينا اللهُ مِن فَضْلهِ ورسولُهُ إنّا إلى اللهِ راغبون**} والآيةُ بِصددِ الحديثِ عن الأموال، عن الصَدَقات. والآية لم تتحدّث عن العطاء اليومي المُباشر وإنّما تتحدّث عن العطاء الأصلي في التقدير وفي الفيض.. ولِذلك كان الحديث عن عطاء الله وعن عطاء رسولهِ بنفس المُستوى.

• وفي الآية 74 من سورة التوبة: {**وهمُّوا بما لم يَنالوا وما نَقَمُوا إلّا أن أغناهم الله ورسولُهُ من فضله..**}

ليس الحديثُ هُنا عن إغناءٍ مِن يدٍ إلى يد بالشكل العادي، وإنّما بالنحو التقديري وبنحو الإفاضة.. أي الرجوع إلى قوانين الخَلْق والرزق.

إشاراتٌ واضحة إلى نفسِ المَضمون الذي تَحدثتْ عنهُ رواياتٌ وفيرةٌ مِن أنّنا بعد تناول الطعام - وهكذا بعد كُلّ نعمة - وإنّما جِيئ بذكْر الطعام لأنّهُ العنوانُ الأوّل الذي ينصرفُ للذهن البشري حِين يكونُ الحديث عن النِعَم الإلهيّة.

فقد وردَ في رواياتٍ عَديدة في الكافي وغيره أنّهُ مِن المُستحبّات الواضحة أنّنا إذا أردنا أن نَحمدَ اللهَ على طعامٍ أو على شراب أن نقول: الحمدُ لله، هذا مِن مُحمّدٍ وآل مُحمّد.. وهذا هو مَعنى عنوان "أولياء النعم" الذي ورد ذِكرهُ في الزيارة الجامعة الكبيرة.

هكذا نحمدُ الله على ما يُسبِغُ علينا مِن نعمهِ ومِن فضله.. هذه المعاني واضحة في ثقافةِ أهل البيت التي أُبعدتْ عنكم.

• وهُم أيضاً الصادقون كما في الآية 119 في سُورة التوبة: {**يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقُوا اللهَ وكُونوا معَ الصادقين**} هم الصادقون الذين يصدقون عن الله.. إنّهم الحقائق الصادقة.. هي صادقةٌ فيما يظهرُ فيها مِن تجلّياتِ الباري سُبحانهُ وتعالى.

أنا لا أتحدّث هُنا عن صِدْقٍ في القول، أو عن صِدْقٍ في التشريع، أو عن صِدْقٍ في العِلْم، لأنّ علمهم علمٌ معصوم فهو صادقٌ في كُلّ الحالات والأحوال.. إنّني لا أتحدّثُ عن هذهِ المعاني وإنْ كانتْ موجودةً هُنا.. ولكنّني أتحدّثُ عمّا هو أبعد.

كُلّ الأوصافِ المُتقدّمة تجتمعُ في هذهِ الآية.. ولِذا جاء الأمر أن نكونَ معهم.. فهؤلاء هُم العالون.. أي الحقائقُ الصادقةُ في تَجلّي معنى العُلو في هذه المجموعة (مجموعةٍ عنوانها: هم فاطمةُ وأبوها وبعلها وبنوها.. وحُسينٌ هو وعاءُ العترة الطاهرة) هؤلاء هُم العالون، هُم الخالدون.. هذهِ المعاني تتجلّى فيهم بِصدق لأنّهم المرآة الحقيقيّة التي تتجلّى فيها كُلّ معاني الأسماء الحُسنى.

• هؤلاء هم الذين جاء ذِكرهم في الآية 105 مِن سُورة الأنبياء، قولهِ تعالى: {**ولقد كتبنا في الزَبورِ مِن بعْدِ الذِكْر أنّ الأرضَ يَرِثُها عباديَ الصالحون**}

هؤلاء الصالحون هم الصادقون.. والعنوان الأوّل لوراثة الأرض جاء في سُورة القصص، في الآية 5 نقرأ فيها: {**ونُريدُ أن نَمُنَّ على الذينَ اسْتُضعِفوا في الأرضِ ونجعلَهُم أئمةً ونجعلَهُم الوارثين**} العنوان الأوّل للوراثة هو لإمام زماننا.

• وفي 89 من سُورة الأنبياء: {**وزكريا إذ نادى ربَّهُ ربِّ لا تذرني فرداً وأنتَ خيرُ الوارثين**}

فهُناك الوارثون الحقيقيّون.. والباري تعالى حِين يُوصَف بهذا الوصف أنّه: "خيرُ الوارثين".. يعني أنّ هناك وارثون حقيقيّون، وهؤلاء الوارثون عنوانهم الأوّل إمام زماننا "صلواتُ الله عليه".

هذه الصِيَغُ القرآنية على طُول الكتاب الكريم هل تتحدّثُ عن مَجموعةٍ تَصِلُ إلى الإمام العسكري ويَقِفُ الكلام؟! مِن بديهيّات ثقافتنا أنّ هذهِ المجموعة مجموعةٌ مترابطة مُتواصلة مُتصلة، لا يُوجد تفكيكٌ فيما بينها.. فصيغةُ الفاعل دالّةٌ على الحضور ودالّةٌ على الإستقبال.

● وقفة عند دعاء الجوشن الكبير (دعاء الأسماء الحُسنى) وهو مِن أدعيّة هذه الأيّام، لاسيّما ليالي القدر.. هذا الدعاء يتألّفُ مِن 100 مقطع وكُلّ مقطع يتألّف من 10 أسماء.. فدُعاء الجوشن يشتملُ على ألف اسْمٍ مِن أسمائهِ سُبحانهُ وتعالى.

وردتْ مجموعةٌ من نفس الصِيغ المُتقدّمة: أحسن الخالقين، خيرُ الرازقين، أرحمُ الراحمين.. أسماء تُقارن بين الله سُبحانه وتعالى وبين كائنات هي مِن خَلْقه.. فهي مُقارنةٌ في الحقيقة بين فضل الله وفضلهِ، بين نِعمة الله ونِعمته.

• في المقطع الثاني: أوّل اسمٍ يبدأ بهِ المقطع: (**يا سيّد السادات**)

فلابدّ مِن وجود سادات في مَراتب حقيقيّة، وإلّا ليس المُراد مِن "السادات" هُنا: شيوخ قبائل، أو زُعماء مُجتمع، أو مُلوك، أو طُغاة.. لا يُمكن أن تكون هُناك مُقايسة بين سيادة الله سُبحانه وتعالى وسيادة هذهِ المخلوقات الضعيفةِ الحقيرة.. لابُد مِن مُقايسةٍ مع سيادةٍ هو الذي جعلها في أعلى المراتب.

• وجاء المقطع الثالث بكلّه: (**يا خيرَ الغَافرين يا خيرَ الفاتحين يا خيرَ الناصرين يا خيرَ الحاكمين يا خيرَ الرازقين يا خيرَ الوارثين يا خيرَ الحامدين يا خيرَ الذاكرين يا خيرَ المُنزلين يا خيرَ المُحسنين**) الدعاء يُذكّرنا بهم، ويُرجعنا إليهم.. لو لم يكونوا بهذه المنزلةِ لَما ذُكِروا مع الله سُبحانه وتعالى.

علماً أنّهم "صلواتُ الله عليهم" إذا ذُكِروا ذُكِر الله.. وإنّما هذه ظُهورات وتجلّيات تتمظهرُ في هذهِ الصِيَغ وهذه الألفاظ مِن الأدعية والأذكار والأوراد.

وبعض هذهِ الأسماء المذكورة في الدعاء مرَّ ذكرها في آيات الكتاب الكريم.

• حينما نقرأُ هذا الدعاء كيف نفهم هذهِ الأوصاف؟! هل حينما نقول: "**يا خَيرَ الغافرين**" هل نقارن مغفرة الله بمغفرة الناس؟! هل هذا كلام منطقي؟!

والأمر هو هو مع بقيّة الأسماء الأُخرى التي جاءتْ في هذا المقطع أو في سائر المقاطع الأُخرى

لا يُمكن أن تكون المُقارنة مع مَعدوم.. ولا يُمكن أن تكون المُقارنة مع ضَعيفٍ هَزيل.. فلابُدّ مِن وجود كائناتٍ حقيقيّة تَحملُ رُتَباً عاليّةً جدّاً في هذه الأوصاف.. هو سُبحانهُ وتعالى أغدقَ عليها هذه الأوصاف.

• **قد يستغربُ البعض مِن ذلك.. وأقول لهم:**

إذا كُنتم تستغربون مِن ذلك، فهذا الكتاب الكريم أمامَكم صريحاً يُطالبنا بشكلٍ صريح أن نُقرضَ اللهَ قَرْضاً حَسَناً بأن نُنفِقَ أموالنا، أو أن نُنفِقَ النِعَم التي عندنا، أو أن نبذُلَ جُهدنا في طاعتهِ.. فهو يطلبُ منّا اقتراضاً..!! (هذا هو أدبُ الله، وهذا هو جُوده، وهذه هي رحمتهُ وفضلهُ..) هو يُعطينا ثُمّ يستقرضُ مِنّا كي يصنعَ مِنّا كائنات مُحسنة.. وإلّا ما قيمتُنا نحنُ..؟! كُلّ شيءٍ راجعٌ إليه تعالى، ولكن القُرآن يُطالبنا أن نُقرض الله قَرْضاً حَسَناً..

هذه أمثلة أُقرّب الفكرة مِن خلالها لا أكثر.. وإلّا فالمقطع أعمقُ من هذا بكثير.. (**يا أحمد خلقتُك لأجلي**).

• المقطع 27 كلّه أيضاً: (**يا أحكمَ الحاكمين يا أعدلَ العادلين يا أصدقَ الصادقين يا أطهرَ الطاهرين يا أحسنَ الخالقين يا أسرعَ الحاسبين يا أسمعَ السامعينَ يا أبصرَ الناظرين يا أشفعَ الشافعين يا أكرم الأكرمين**)

• قول الدعاء: (**يا أطهرَ الطاهرين**) هذه العبارة واضحة جدّاً.. فهل أنّ الباري يُقايسُ طهارتهُ بكائناتٍ لا وُجود لها..؟! أو بكائناتٍ تحملُ طهارةٍ عَرَضيّةً مِثلي ومثلكم؟! إنّ اللهُ سُبحانهُ وتعالى حِين يُقايسُ طهارته، إنّه يُقايسُ طهارتهُ بطهارة أطهر الموجودات.. إنّه الإسم الأعظم الأعظم الأعظم وما يتجلّى مِنهُ في مُحمّدٍ وآل مُحمّد (أصحابُ آيةِ التطهير) وبقيّة الأسماء هي على هذا المِنوال.

• في المقطع 33 من دعاء الجوشن الكبير (**يا أعظمَ مِن كلّ عظيم يا أكرمَ مِن كلّ كريم يا أرحمَ مِن كلّ رحيم يا أعلمَ مِن كلّ عليم يا أحكمَ مِن كلّ حكيم يا أقدمَ مِن كلّ قديم يا أكبرَ مِن كلّ كبير يا ألطفَ مِن كلّ لطيف يا أجلّ مِن كلّ جليل يا أعزَّ مِن كلّ عزيز**)

نفس المضامين الموجودة في دُعاء البهاء (**اللّهُمّ إنّي أسألُكَ مِن عظمتكَ بأعظمها**) أعظمُ العَظَمة تجلّتْ فيهم.. اللهُ سُبحانهُ وتعالى يُقايسُ عَظَمتهُ بهذه العَظَمة التي أعطاهم إيّاها.

هذهِ المعاني لن تتضح بشكلٍ جلي مالم نعرف ماذا ورد عن آل مُحمّد في ولايتهم الكونية.

• قول الدعاء (**يا أقدمَ مِن كلّ قديم**) القُدماءُ هم "صلواتُ الله عليهم" كانَ اللهُ ولم يكنْ معهُ شيء، ثُمّ كانوا هُم ولم يكنْ معهم شيء مِن سائر المخلوقات، وإنّما كانوا هم مع الله فقط.

• المقطع 39 كلّه أيضاً: (**يا خيرَ المَرهوبين يا خيرَ المَرغوبين يا خيرَ المَطلوبين يا خيرَ المَسؤولين يا خيرَ المَقصودين يا خيرَ المَذكورين يا خيرَ المشكورين يا خيرَ المَحبوبين يا خيرَ المدعوّين يا خيرَ المُستأنسين**)

هذهِ كائناتٌ قائمة موجودة على طول الخطّ.. وتجليّاتها كاملةٌ ثابتة.. وحِين حدّثونا عن تَجلّياتهم في هذا العالم وحدّثونا عن الأئمةِ الإثني عشر حدّثونا عن مجموعةٍ مُتكاملةٍ مُتواصلةٍ مُتّصلة.. ما لأولهم لآخرهم وما لآخرهم لأوّلهم.. ولا نَستطيعُ أن نتصوّر هذه المجموعة في حالةِ انتقاصٍ.. ولِذا مَن أنكر واحداً منهم كأنّما أنكرهم جميعاً.. هذه بديهيّات ثقافة آل مُحمّد.

• في المقطع 45 أيضاً كُلّ هذا المقطع: (**يا أقربَ مِن كلّ قريب يا أحبَّ مِن كلّ حبيب يا أبصر مِن كلّ بصير يا أخبرَ مِن كلّ خبير يا أشرفَ مِن كلّ شريف يا أرفع من كلّ رفيع يا أقوى مِن كلّ قوي يا أغنى مِن كلّ غني يا أجود مِن كلّ جواد يا أرأف مِن كلّ رُؤوف**) والحبيبُ الأوّل والآخر مُحمّد.
• في المقطع 63 جاء هذا الإسم: (**يا أجودَ الأجودين**).
• المقطع 86 بكلّه: (**يا خيرَ معروفٍ عُرِف يا أفضلَ مَعبودٍ عُبِد يا أجلَّ مَشكورٍ شُكِر يا أعزَّ مَذكورٍ ذُكِر يا أعلى مَحمودٍ حُمِد يا أقدمَ موجودٍ طُلِب يا أرفعَ موصوفٍ وُصِف يا أكبرَ مَقصودٍ قُصِد يا أكرمَ مَسؤولٍ سُئل يا أشرفَ محبوبٍ عُلِم**)
• المقطع 87 جاء فيه: (**يا أقدر القادرين يا أعلم العالمين**)
• المقطع 91 جاء فيه: (**يا أكرمَ الكُرماء**).
• المقطع 95 كُلّ الأسماء بنفس الصِيغ السابقة: (**يا خيرَ ذاكرٍ ومَذكور يا خيرَ شاكرٍ ومَشكور يا خيرَ حامدٍ ومحمود يا خيرَ شاهدٍ ومشهود يا خيرَ داعٍ ومدعو يا خيرَ مُجيب ومُجاب يا خيرَ مُؤنسٍ وأنيس يا خيرَ صاحبٍ وجليس يا خيرَ مقصودٍ ومَطلوب يا خيرَ حبيب ومحبوب**)
في هذا المقطع بحاجةٍ إلى شرحٍ مُفصّل.. إنّه يشتملُ على نفس المعنى {**وما رميتَ إذ رميتَ ولكنّ الله رمى**}
هذه خمسةٌ وسبعون اسماً.. كُلّ الأسماء أسماؤهم، ولكن الحديث كان بِحدود هذه الصُورة.. لأنّي أردتُ أن أتتبع هذه الصيغة (العالون، الخالدون، الخالقين،..). هذه الصيغة "صيغةُ الفاعل المُعرّفة بالألف واللّام بجمع المُذكّر السالم" بكلّ تلك المنظومة الفكريّة والعلميّة والعقائديّة الواضحة في آيات الكتاب الكريم.. وهذا على سبيل المِثال فقط، وليس على سبيل الاستقصاء والتتبّع.
هذهِ المَضامين هي هي ولكنّها بتجلٍّ لفظيّ آخر.

● وقفة عند فقرات من دعاء البهاء.

هذهِ المَضامين في آياتِ الكتاب الكريم، في دعاءِ الجوشن الكبير، وفي دُعاء السَحَر.. هذه المضامين هي التي تتحدّث عنها الزيارة الجامعة حين تُخاطبهم وتقول: (**مؤمنٌ بسرّكم وعلانيتكم**)
هذه إشاراتٌ تُشير إلى جانبٍ مِن أسرارهم التي لا نعرفُ حقيقتها ولا نُحيطُ بِكُنهها.
هذه إشاراتٌ تُشير إليهم عموماً.. وإلى إمام زماننا خُصوصاً.